Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السفينة لنا، المهم أن تعترفوا بذلك، وإلى أن يتمّ هذا، أنتم مخطوفون"-(ص٨٨).

والحقيقة أن هذا العقوق واللؤم قد تأصّلا في نفوس من يزعمون عن أنفسهم أنهم "النخبة أو الصفوة المختارة" منذ أزمان سحيقة...! وقد أشار إلى ذلك الكاتب (أبو حيّان التوحيدي) (٤٠٠هـ) في قصة له لطيفة تتحدث عن مجوسي ويهودي، أحسن الأول إلى الثاني، وهما في الصحراء، فأركبه على بغلته، بعد أن أطعمه زاده، وسقاه ماءه، فلما ملك اليهودي بغلة المجوسي، نخزها وذهب بها بعيداً، تاركاً المجوسي وحيداً في الصحراء يمشي على ظلع، وقد بهر وانحسر...! وحين سأل المجوسي اليهودي بعدئذ ما الذي دعاه أن يفعل ما فعل، قال له: "اعتقاد نشأتُ عليه ومذهب تربّيْتُ به وصار مألوفا معتاداً كالجبلّة.. اقتداء بالآباء والأجداد والمعلمين من أهل ديني ومن أهل مذهبي..." (الإقناع والمؤانسة ١٥٧/٢).

وتمضي الأحداث على ظهر السفينة، وتمر الوقائع، فيعاني ركابها الأهوال من تلك الجريمة، وهي أهوال تشبه ما يعانيه اليوم أهل الضفة والقطاع من تنكيل وقهر وتعذيب وعسف وتكسير للعظام، على أيدي أحفاد (بن غوريون)، الذين يقابلهم في الرواية أعوان (بن جدعون). والمشاكلة الصوتية هنا موحية دون ريب.

فبعد أن اعتقل أولئك (غالي بابا) ووضعوه في زنزانة، وبعد ممارسات لهم لا تطاق، ثارت ثائرة السفينة، وسار فيها الناس هاتفين، الموت للقراصنة، الموت للغزاة، وذلك بتوجيه من مساعد القبطان (رستم الغطاس) وثلّة معه... فما كان من الخاطفين إلاّ أن نكلّوا بالركاب، وعذبوهم أيّ تعذيب. وعندما لم يذعنوا للأوامر ولم يمتثلوا لها، أوقع المجرمون فيهم مذبحة بشعة تذكرنا بمذابح (دير ياسين) و (قبية) قتلوا فيها / ٩٢٤/ قتيلا، ثم مضوا يواجهونهم بسياسية التجويع والإذلال، فمارسوا وحشية فظيعة يندى لها جبين الإنسانية خجلا. فقد اعتدوا على العروس (كلثوم) أمام عريسها (ضرغام)، بعد أن أشبعوه لكما ورفسا وضربا، فطاش صوابه، وزاغ عقله، وأصيب بانفصام في شخصيته..! ثم صلبوا مساعد القبطان (رستم الغطاس) العقل الموجّه للمنتفضين..! ولما جاء (حازم) حبيب (سماح) لينقذه، ابتلعته هوّة سحيقة أودت به إلى زنزانة، مجاورة لزنزانة (غالي بابا)، ذاق فيها الأمرّين، تماماً كما ذاق (غالي بابا) المصير ذاته...! وتتابعت فظائع الخاطفين، وتعاظم طغيانهم، فخصوا الفتى (ليون) أخا (سماح)، الذي كان قد قتل واحداً منهم.. وصاروا، فيما بعد، يأخذون أخته إلى عند (موسى